(المنار) أما جوابنا عن سؤال المؤيد وأين باب مشيخة الطرق لنقرعه » فهو

اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

وما منعنا ان نوجه الملام فيما كتبناه عن منكرات أهل الطرق من قبل الا أن شيخهم ورئيسهم الاكبر سماحة الشيخ محمد توفيق البكري كان يعدنا ويمنينا بالاصلاح وقد مل الصبر ولم نر للوفاء بالوعود وتحقيق الاماني أثرا . فعسى أن تزعجه وخزات هذه الحوادث المؤلمة الى العمل والتجافي عن مضجع الكسل، فيطل الغرور ويستتر الفجور ، ويستبدل المدح والثناء ، باللوم والازراء

﴿ حضرات أهل الطريق ﴾

كنا كتبنا من بضع سنين نبذة في حال المنتسبين للطريق في الديار السورية أودعناها فاتحة المقصد السادس من كتابنا « الحكمة الشرعية » أحببنا ان نوردها هنا بمناسبة الحادثة التي كشفت القناع للمغرورين بهؤلاء القوم من كون فعلهم اهانة للاسلام، تجعله سخرية عند جميع الانام، قلنا هناك بعد كلام في حقيقة التصوف وأهله ما نصه

قد علمت مما شرحناه أصل طريقة القوم وما كانوا عليه علما وعملا وكيف صرح أئمتهم من بضعة قرون بأنهم قد انحرفوا عن الصراط السوي ولم يبق عندهم الا الرسوم. وأما الآن فقد محيت تلك العلوم ، واندرست هياكل الرسوم ، وطاحت تلك الاشارات ، وذهبت تلك العبارات ، واعتكر الاظلام ، واشتبهت الاعلام ، وتمسكوا بحبال الاوهام والاباطيل ، فاتخذوا الطريق أحبولة للجاه ، وحيلة للمفاخرة والمباراة ، فبعد ان كان عملا وحالا صار صناعة وعلما ثم انتكس حال المتظاهرين بذلك فأخذوا أولا بالتقليد والتشبه بالقوم تيمناً وتبركا على حد قول القائل

ان لم تكونوا مثلهم فتشبهوا ان التشبه بالكرام فلاح

وسارت ايام وصرت ليال على ذلك وهم على ما هم ، تعرفهم بسيماهم ،

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

ثم غلبت الاهواء ، وعمت اللأواء ، فلا خيام ولا نساء ، الا ما كان تحت حجاب الخفاء ، ولم يبق عند المتأخرين من علم القوم الا شقشقة اللسان ، وزخرفة الكلام ، بألفاظ

لا يفكرون بمعناها، وكلمات لا يعقلون مرماها، كالسكر والوجد والادلال والشطح والفرق والجمع، والتلوين والتمكين، وما أشبه هاتا من الكلم الذي تلقفوه من الكتب مع تحريفه عن مواضعه. وأما العمل فليس لهم منه الآن الا ضرب الدفوف ودق النقارات والصنوج والنفخ بمزمار الشبابة بل والضرب بآلات الاوتار عند البعض والتغني بالاشعار الغرامية المهيجة للنفوس المتغمسة في الترف والنعيم والباعثة لها على التوغل في الملذوظ النفسية والاستهتار في عشق الاحداث والنساء بما فيها من التخيلات في أوصاف الحسان المهيجة للانفعال المحركة للوجدان وشرح أحوال العشاق وأطوارهم كالهجر والوصال والتيه والدلال كاشعار سيدي عمر بن الفارض وغيره، ويسمون كل ذلك عبادة حيث يأتونه في حالة الذكر الذي جعلوه كيفية من الرقص يتعلمها حسان الاحداث وغيرهم ويمتزجون أثناء الذكر بالرجال ويتواجدون ويصيحون. واذا أنكر عليهم منكر وعذلهم في صنعهم هذا عاذل فالعذر لهم ان بعض الشيوخ الصادقين والاولياء السالفين قد اتفق لهم شيء من مثل ذلك، وهذا لا تقوم به حجة لان من ينقل عنه لم يقل أحد انه كان متعمدا له ومتخذه صناعة وانما قيل انه كان لغلبة الحال عليه وذلك مما صرحوا بانه لا يقتدي بصاحبه فيه، وهذا فيما لا يقطع بتحريمه في نظر الفقه وأما ما صرح الفقهاء بتحريمه فلا يلتفت لفاعله سواء كان متعمدا أم مغلوبا على أمره

ينطبق على هذا الخلف الصالح لذلك السلف الصالح أتم الانطباق ما نقله الحفني في حواشيه على الجامع الصغير عن المناوي عند الكلام على الخبر الذي أخرجه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف وهو «ان الأرض لتعج الى الله تعالى من الذين يلبسون الصوف رياء» قال أي إيهاما للناس انهم من الصوفية الصلحاء الزهاد ليعتقدوا ويعطوا وما هم منهم قال المعري

أرى جبل التصوف شر جبل ... تقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عبدتموه ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

وقال آخر

قد لبسوا الصوف لترك الصفا ... مشايخ العصر بشرب العصير

بالرقص والشاهد من شأنهم شر طويل تحت ذل قصير

انتهى ما نقله الحفني رحمه الله تعالى ، أقول وقد أكثر العلماء والأولياء من الكلام في السماع فقال به أقوام ومنعه آخرون وللمحققين فيه تفصيل معروف ومنه انه محظور في حق من يحركهم على فعل محرم أو يحملون ما يسمعون من الغزل والنسيب على أمرد أو أجنبية وما أكثر هذا في أبناء هاته الأيام ، وما قبلها بسنين وأعوام ، وقد شاهدت بعيني غير مرة بعض من عرف واشتهر بحب الاحداث وقد حضر مجلس ذكر وفيه قوال حسن الصوت خبير بصناعة الانشاد والتغني فكان الشاب العاشق يبكي كلما غرد المنشد حتى ينقطع عن الذكر لغلبة البكاء والنشيج ومعظم الحاضرين على علم بأن سبب بكائه استيلاء عشق الحدث عليه وقهره إياه تحت سطوة سلطانه . ولعمر الانصاف انه لا يعذل على بكائه وانما العذل والملام على من عقد له ولأمثاله مجلس سماع يتوخى حضوره ويتحيه حيث كان لعجزه عن انشاء مثله ومعلوم ان الانسان لا يخلو في وقت من الاوقات من حال حاكمة عليه وناهيك بحال العشق الذي

كم ملك الاحرار للعباد وأوجد الرقة في الجماد
وحكم الظبا على الآساد وصوب الخطا على السداد
وألبس الغي بعين الرشد

وهو من أشد أمراض النفوس قاهرا ومذللا لها حتى انه يهبط بطباع أعاظم الاشراف من أوج عزها الى الاستكانة والخضوع لأحقر فتيان السوقة أو فتيات الاعراب من ذوي الذلة والمهانة ، وان السماع من أمس الدواعي لتحريك سواكنه ، وإنشاب برائنه ، وأني لذلك الشاب المسكين ولا مثاله بألهية يشغل بها نفسه عن التفكر بمحاسن محبوبه وإدلاله عليه إذا سمع المنشد يلحن هذه الابيات

ته دلالا فأنت أهل لذاكا وتحكم فالحسن قد أعطاكا
ولك الامر فاقض ما أنت قاض فعلى الجمال قد ولاكا
وبما شئت في هواك اختبرني فاختياري ما كان فيه رضاكا

وأمثال ذلك مما يعتاد انشاده في مجلس الذكر ، وليت شعري ما ذا يسبق إلى

فهم الجاهل منهم أو العالم وهو مكبل في أسر النفس الحيوانية وغريق في بحار رعوناتها إذا سمع القوال ينشد

تمسك بأذيال الهوى واخلع الحبا وخل سبيل الناسكين وان جاروا
وقلت لزهدي والتنسك والتقى تخلوا وما بيني و بين الهوى خلوا

ولقد حدثنا بأغرب من نبأ الشاب الذي مر ، وأدهى وأمر ، ...

ثم توسعنا بالقول في السماع بما لا محل له هنا

ولما جئنا هذا الديار ، ورأينا المجامع التي تسمى الاذكار ، تجلى لنا ان سيئات السوريين عندها حسنات ، فهنالك يذكر الله تعالى كل من حضر ولا ينشدون من الشعر إلا ما كان منسوبا للصوفية من الإلهيات والنبويات ، والخمريات والغراميات ، وهنا يوجد نفر قليل بين المئات والألوف يرقصون بتكسر وتثن ولا يكاد يسمع منهم قول الله أو لا إله إلا الله و باقي القوم يستمعون المنشد الذي يغنيهم بأحدث الاغاني الغرامية التي تغنى في مجالس اللهو والشرب على العود والقانون وهم يهمرخون ويتأوهون إلى آخر ما هو مشاهد ولا حاجة بنا الى شرحه ، وانما الحاجة الى منعه ، وجعل الذكر ذكرا ، لا لهوا ولغوا وهزؤا ولعبا ، أما آن لنا أن نعتبر ونذكر؟ حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ ملوك المسلمين والتاريخ ﴾

كان الملوك ولا يزالون في الشرق فتنة للامم وبلاء على التاريخ اذ هم الذين يحملون الكاتب على ستر الحقائق والتمويه على الناس بجعل الباطل حقا وإلباس القبيح ثوب الحسن وكلما ترقت الامم والدول الغربية وعلت تتدلى الشعوب والحكومات الشرقية وتسفل فلقد كان مؤرخو الشرق الغابرين لا سيما المحدثين منهم أكثر حرية من مؤرخيه الحاضرين لذلك كانوا ينتقدون أعمال الخلفاء والملوك الذين كانوا أحسن حالا من خلفهم و يشرحون سيئاتهم من غير مبالاة ، ومؤرخو عصرنا هذا عامة وأصحاب الجرائد منهم خاصة يقدسون الملوك الامراء وينزهونهم عما